ميشال شيحا

وقضيه فلسطين

بقلم الاستاذ تقي الدين الصلح

الامسية التي احيتها الندوة اللبنانية في العشرين من كانون الثاني، كانت مهرجانا لكتاب « فلسطين » الذى اصدره اصدقاء ميشال شيحا احياء لذكراه . فتكلم الاستاذ شارل حلو باللغة الفرنسية ، وبالعربية الاستاذ تقي الدين الصلح الذي ننشر كلمته شاكرين .

• •

في اليوم الذي بدأت تتكون فيه على هذه الارض اللبنانية العزيزة فكرة الانبعاث العربي ، ولاحت للخيال في منتصف القرن الماضي رؤيا المصير الحر ، كان القدر يهيء لنا ، في رؤوس طائفة من البشر مبعثرة مطاردة عاشت على الانعزال الحاقد عشرات القرون ، مصيراً اخر يحمل لهذه الديار الذل والدمار .

لقد ولدت فكرة الانعتاق العربي على ارضنا، حين كان يولد على ارض بعيدة ، مولود ينازعها في الحياة قسمة واحدة .

وعلى نحو ما يكون في الاساطير، واجه هاتف الخير في العرب منذ ولادته مخلوق الشر الذي في تكوينه زرع الخراب .

•

ان ميشال شيحا لجدير ان يعتبر ، بما فكر وكتب ودعا، في طليعة من ادركوا في عمق غور وسعة افق وبعد مدى، كل ما تنطوي عليه الصهيونية من بلاء.

رأى شيحا في قيام دولة اسرائيل تهديداً للبنان ولسائر البلدان العربية وللشرق كله .

رفض قيام هذه الدولة وناهض التقسيم ووقف عند حد القبول بدولة فلسطينية فيدرالية يكون

لكن النقد، وان كان عنصراً فعالاً، يبقى عاملا سلبياً. ويبقى العامل الايجابي اختزان الثقافة من مواردها الاصلية وعدم الاكتفاء باليسير .. ويبقى العامل الايجابي الافعل الاسهام في معترك الوجود والنزول من الابراج العاجية على غير رجعة الى ارض البشر ، الى صميم الحياة .

لقد تغلبت في موضوع فلسطين وما تزال تترسخ كل يوم المبادىء التي تنفي كل ما يشبه انصاف الحلول والمداواة الجزئية واعتبار الامر الواقع .

ان المنطق العربي الجديد يرى انه ما دام قيام «اسرائيل» كان امراً غير مستحيل فان زوالها لا بد ان يكون امراً ممكناً .

ونستطيع ان نقول ان مذهباً متكاملاً في فهم القضية وطريقة معالجتها يكاد يتكون :

اولا ـ لقد قامت اسرائيل على السيف، وعلى السيف تبني كل مطامعها وتهيىء كل يوم من ايام مستقبلها. انها شر قائم ومتنام على الامة العربية وعلى سلم العالم . فمن حق القوة بل من واجب القوة ان تزيل هذا الشر .

ثانياً ـ ان دولة يهودية في فلسطين مهما تضيق مساحتها تبقى خطراً كاملاً. فغاية الصهيونية ليست ايجاد ملجأ لليهود بل ايجاد ملك ينسخ تاريخاً ويحدث تاريخاً . والمسألة في النهاية ليست مسألة حدود وانما هي مسألة وجود او لا وجود .

ثالثاً ـ ان قضية العرب الذين شردوا من ديارهم في فلسطين بالرغم من كونها جزءاً من قضية فلسطين، ليس على حلها يتوقف حل هذه القضية لا كلياً ولا جزئياً ان الحل ليس في عودة هؤلاء العرب الى ارضهم ، وانما هو عودة هذه الارض الى العرب .

رابعاً ـ ان الاستعمار قد اوجد اسرائيل لتبقى به ويبقى بها . فبينهما اشتراك مصلحي اصيل وكل اضعاف للاستعمار كيف كان وانى كان اضعاف لاسرائيل . ومعركة العرب مع الاستعمار هي في الوقت نفسه معركة مع اسرائيل .

خامساً ـ ان في مقدمة القوى التي يواجه بها العرب اسرائيل ، الوحدة العربية . فهي بطبيعتها لا تحتمل وجوداً صغيراً او كبيراً لاسرائيل. تبدأ بحصرها وتنتهي بازاحتها .

سادساً ـ ان الحرب ضد اسرائيل حرب مستوى لا حرب ميدان فقط . يجب ان لا تكون افضلية العرب مقصورة على تفوقهم في العدد، بل يجب ان تكون لهم ايضاً الكفاءة النوعية .

وكل تقدم في التنظيم السياسي والاجتماعي او الاقتصادي، او كل خطوة في حقل الفكر والعلم والتكنيك ، مزيد من القدرة على مواجهة اسرائيل وازالتها .

سابعاً ـ ان كل حل جزئي لقضية فلسطين لا يمكن الا ان يكون فيه نفع للصهيونية ، وجميع المحاولات المعروفة القائمة على الحلول الفرعية هي فرض حياة لاسرائيل . ومن الان حتى يصبح العرب في ذروة القدرة يبقى الوضع القائم الان على ارض فلسطين افضل الحلول السيئة .

بعض نواحيها وبهذا السبب عينه اشد صعوبة من حربنا ضد الاستعمار . فبينما هو محكوم عليه شرعاً حتى عند المستعمرين انفسهم، تظهر «امرائيل» لفريق من العالم كيانا شرعياً له حق الوجود.

ان لبنان ، اذا عرف كيف يخرج مغتربيه من نطاق سياسات محلية ضيقة ويشرك البلاد العربية في تقدير قوة هؤلاء المغتربين، تمكن من ان يواجه الصهيونية في كل مكان توجد فيه. وهو، بما له من الاتصال المباشر بالقوة الروحية المسيحية العالمية ، يملك من الوسائل بهذا العراك المعنوي ما لا يملك سواه .

لقد كان لبنان بفضل طليعة منه من اسبق البلدان العربية تنبها لاغراض الصهيونية .

وحسبنا ان نذكر في هذا الباب ما سجله التاريخ من فضل الوزير سليمان البستاني الذي نبه الخليفة العثماني الى الاخطار العظيمة التي تنشأ عن التسليم باي امتياز مادي او معنوي يطلبه الصهيونيون في ارض فلسطين .

ولئن سجل التاريخ للبستاني الكبير هذا السبق في التخوف من اطماع الصهيونية فان المفكر ميشال شيحا ميزة الوعي الكامل والادراك التام لهذه الاخطار .

لم ينافس عقل شيحا الكبير في فهم موضوع فلسطين الا ايمانه العميق ، ولم يسبق علمه المتين واطلاعه الواسع وخبرته المحنكة الا احساسه الملهم .

•

ان وجه الرجل الذي نتحدث عنه لم يغب عن هذا العالم الا وقد خلف وراءه من اصدقائه ومريديه ما يكاد يكون مدرسة قائمة بذاتها . وانها لمدرسة نرجو ان يكون فيها الكفاءة على المساهمة افضل مساهمة في تنوير اذهان المجموع اللبناني فيصبح واعيا لقضية فلسطين الوعي الذي ترضاه وتريده ، وفي توجيه الدولة توجيها مستمرا دؤوبا لتوءدي واجبها على الوجه الاكمل . انه على قيام هذه المدرسة بدورها يتوقف الى حد بعيد ان يقوم لبنان بدوره .

الى قراء السنابل ومناصريها

☆ ☆ ☆

ان السيد انطوان عصفور هو معتمد السنابل المكلف بجمع الاشتراكات ، فالرجاء من القراء والمناصرين الكرام ، ان يتلطفوا بتسهيل مهمته ولهم الشكر.